### ارتباك في التعامل مع الفرقاء العراقيين.. مجاملات كثيرة ونتائج سياسية واقتصادية ضحلة

# توجه اردني محموم للحفاظ على مصالحه الحيوية المعطلة في العراق

عمان ـ «القدس العربي»

من بسام البدارين:

تعاطي عمان رسميا مع كل اطراف المعادلة العراقية يجعلها قريبة اكثر من المعطيات التي تحصل على الارض ويرسمها على هيئة عاصمة مهيأة لاستقبال كل الفرقاء والتعامل معهم على امل ان ينتج عن ذلك لاحقا ظرف موضوعي يسمح بمسألتين، اولا الحفاظ على المصالح الاردنية الحيوية المتعطلة في العراق نفطيا وتجاريا، وثانيا ايجاد موطئ قدم لدور سياسي او اقليمي في البؤرة العراقية المشتعلة.

لكن هذا التعاطي يشوش ويربك اكثر مما ينتج ويفيد بالنسبة لمؤسسة القرار الاردنية التي وجدت نفسها الاسبوع الثاني مضطرة لعقد مقارنات ومقاربات بين الصور التي نقلها عن الواقع العراقي فرقاء المعادلة من داخل العراق الذين فتحت لهم ابواب عمان واستقبلهم القصر الملكي وحظيوا بهالة اعلامية وسياسية.

وبهذا المعنى قسمت عمان حوارها مع العراقيين لاربع مراحل فقد استقبلت اولا بحنان بالغ الرئيس العراقي جلال الطالباني وبعده حل عمار الحكيم ضيفا على امل ان يخفف جماعة شقيقه عبد العزيز تحرشاتهم في عقود التجار الاردنيين وثالثا استقبلت عمان بدفء شديد زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر الذي رفض التحدث بالسياسة مع الاردنيين واخيرا وقف في محطة عمان بعض قادة المجموعة السنية الفاعلة في العراق والمعتدلة سياسيا مثل خلف العليان وصالح المطلق وعدنان الدليمي.

وقصدا يبدو ان عمان اجلت استقبالها لممثلي السنة حتى لا تتهم بالتحيز فقد سبق ان حذرت من الهلال الشيعي والنفوذ الايراني وسبق ان اكتوت بنيران التحريض الذي مارسه ضد مصالحها احمد الجلبي وسبق لها ايضا ان اكتشفت بان صديقها وحليفها الذي وضعت كل البيضات في سلته سابقا اياد علاوي لم يفعل شيئا كما اكتشفت بان المشاكل والصعوبات التي يواجهها ابراهيم الجعفري وحزب الدعوة اكبر واكثر من اي امكانية لبناء تفاهم ثنائي مع هذا الخط.

وفي كل هذه الاطر سمعت عمان ابتداء من ملكها المهتم جدا عبد الله الثاني وانتهاء بأهم ساستها الكبار وحتى بقادتها الامنيين الكثير عن ما يجري داخل العراق وعن التصورات المتناقضة فسواء رغب الاردن ام لم يرغب اصبح الهم العراقي هما اردنيا عبر تهديدات ابو مصعب الزرقاوي وارساله لمجموعات من العراقيين الانتحاريين الذين عبروا الحدود مرة مع سورية ومرة مع العراق او سواء عبر الكتلة الشيعية الضخمة والديموغرافية العراقية الاضخم المتواجدة على الارض الاردنية واستحقاقات هذا التواجد.

وفي كل مرة نتجت انطباعات اردنية عن الضيوف العراقيين الكبار وفي كل مرة كانت هناك تصورات طائفية او مصلحية ضيقة او مسبقة اربكت الدبلوماسية الاردنية او ضيقت هوامش المناورة امام المملكة المضطرة بكل الاحوال للهضم والاستيعاب والاحتواء والتواصل.

وعبر الحوارات الاردنية مع العراقيين البارزين كانت الانطباعات بدورها متناقضة ايضا فاول الضيوف جلال الطالباني اغرق في المجاملات وحظي باستقبالات واهتم قبل اي شيء اخر بلفت نظر الاردنيين لتقصيرهم مع الاكراد وقضيتهم وعندما كان الطالباني في عمان لم يتحدث بصفته رئيسا للعراق ولكن بصفته ممثلا للاكراد وكانت تلك مشكلة فنية عطلت نتائج الحوار مع الرجل.

وعندما حضر عمار الحكيم لعمان اكثر من التفلسف والرسائل الطائفية المبطنة وتحدث ايضا بصفته ممثلا فقط لتيار الحكيم ولم يبد اي اهتمام ولو من باب المجاملة بمناقشة اي موضوع له علاقة بالمصالح الاردنية الحيوية، وفوق ذلك كان الحكيم استعلائيا في خطابه وفي مداخلاته على حد تعبير احد السياسيين الاردنيين. كان يستعير عناصر الوقاحة المعتادة في السياسيين وهو يلمح في ثنايا الكلام للقصة المجترة بعنوان أزلام النظام العراقي السابق في الاردن واموال هؤلاء الأزلام المفترضين التي تعود ملكيتها للشعب العراقي كما قال.

والحكيم من حيث الاستعلائية لم يقف عند هذه الحدود بل غمز من جانب رعاية الاردن لبنات واحفاد صدام حسين ملمحا الى ان ابنة صدام رغد حملت معها عندما خرجت الى عمان ثلاثين مليون دولار على الاقل وبسرعة كان الجواب الاردني يشير الى ان رغد وشقياتها رنا واحفاد صدام التسعة وصلوا الاردن بمبلغ لا يتجاوز عشرة الاف دولار تمثل هدايا الجد الرئيس لاحفاده الصغار وكان في السياق ضمنيا يفهم بان ما لدى الاحفاد كان هدايا مالية هي فقط المبلغ الذي وصل لان ايدي جماعة تيار الحكيم لم تصل اليها. وفي السياق فهم ايضا بان حكام العراق الجدد هم الذين استولوا على المال المفترض الذي تحمله ابنة صام على حد زعم عمار الصغير اذا كانت الرواية اصلا صحيحة وعلى ضوء تغميزات وتلميزات وفصاحة الحكيم لا يمكن القول بان الاردن حقق اي نتائج ملموسة او ايجابية من استقباله لعمار الحكيم حتى باب ولافتة ال البيت التي يقدسها الشيعة.

وقبل ذلك كان القصر الملكي الاردني يحتضن اعلاميين عراقيين ممثلين لكل الاطياف على امل خلق واقع موجود يعدل مزاج الصورة بعد ان قاد تيار الحكيم والجلبي حصريا الاساءات التي حصلت بحق الاردن في العراق من طراز مهاجمة السفارة وحرق الاعلام والصور وتنظيم التظاهرات المنددة بالاردنيين قيادة وشعبا.

وحتى يكتمل نصاب الصورة استقبل الاردن بنفس المستوى من الدفء والرعاية الامام الصغير وزعيم الشيعة العرب المفترض مقتدى الصدر والرجل لوحظ عليه ادبه الجم وخضوعه لفكرة آل البيت ورموزهم عندما صافح الملك عبد الله الثاني لكن عندما بدا الاستحقاق السياسي ارسل الصدر عدة رسائل تقول للحكومة الاردنية بانه لم يحضر لكي يتحدث بالسياسة فللسياسة اهلها كما قال احد مساعديه.

وكل ما افاد به الصدر هو الاشارة الى ان صورة الاردن في الوسط الشيعي سلبية فعلا بسبب التحريض ولاسباب اخرى مبديا استعداده لاي مبادرات يمكن ان تساندها الحوزة الصدرية لتحسين صورة العلاقة الرسمية والشعبية بين البلدين.

واكتشف الاردنيون ان الصدر يتحدث كمرجع شعبي وديني وليس كزعيم سياسي وذلك يعني واحدا من احتمالين الاول انه تقصى هذه الشخصية لاغراض الزيارة فقط للاردن، والثاني انه تصرف على سجيته وطبيعته بصفته وريثا مشكوك اصلا في قدرته الحقيقية على الارض للتيار الصدري.

والمشكلة هنا ان الصدر لن يكون مفيدا من الناحية العملية للاردن في الحالتين لكن الانطباع الاردني المتشكل افاد بان الرجل مرتبط بسقف الحوزة الاقوى في الجنوب ولا يريد ان يقطع شوطا كبيرا مع الاردن حتى لا يخسر شركاء في المعادلة الشيعية قرروا مسبقا مهاجمة الاردن في كل الحسينيات من بيروت الى دمشق الى البحرين الى العراق عندما حذر العاهل الاردني من النتائج السياسية لتشكل هلال سياسي شيعي في المنطقة يصبح محورا ويزعج بقية الاطراف.

اما المجموعة السنية التي كانت اخر مجموعة يستمع لها الاردنيون فتحدثت بصراحة اكثر وتحديدا عن مشكلتين الاولى هي النفوذ الايراني الحقيقي والثانية لها علاقة بالاستهداف المنظم للسنة وهنا حصريا استمعت القيادة السياسية الاردنية لمعلومات طازجة في السياق.

وفي هذا الاتجاه ابلغ الاردن بان ما يحصل على الارض هو حرب اهلية حقيقية تستهدف السنة ومؤسساتهم ورموزهم ومشايخهم. وابلغ الاردن بان عدد الائمة والمشايخ الذين قتلوا من السنة بعد حادثة سامراء الغامضة وصل الى 3000 امام وشيخ مسجد وابلغ بان فرق الموت التي شكلتها وزارة الداخلية ويقودها فيلق بدر تختار بعناية مناطق محددة وتضرب بقسوة ووحشية لاثارة ردود فعل وتم التلميح لان قيادات السنة محتارة فعلا ما بين التهدئة وما بين التصعيد الذي تمارسه ضد الشيعة باسم الرد السني غير العراقي الجماعات التكفيرية بقيادة ابو مصعب الزرقاوي.

وابلغت المجموعة السنية القيادة الاردنية بان النفوذ الايراني يتغلغل بقوة في المعادلة العراقية وبانه اصبح واقعا موضوعيا وبان الهلال الشيعي الذي سبق ان حذر منه الاردن قائم على الارض وفي الواقع ويشكل تهديدا حقيقيا لاهل السنة وللاستقرار في العراق وتم التحدث عن مساس مباشر ومنظم ويومي بمبدأ وحدة الاراضي العراقية والاشارة الى ان التقسيم في العراق لم يعد احتمالا بل هو قائم الان وتعمل عليه جميع الاطراف خارج المعادلة السنية ويخشى من ان يتحول الى واقع موضوعي في وقت قريب جدا.

وفي نفس السياق اشارت المجموعة السنية الى ان عمان لم تكن مخطئة عندما حذرت من النفوذ الايراني الذي يتحكم تقريبا بكل شيء الان وان التحذير الاردني كان يمكن ان يغير المعادلة قليلا لو وجدت عمان تغطية عربية تساندها في التحذير من هذا النفوذ وهي التغطية التي حصلت للاسف من السعوديين في وقت لاحق ومتأخر.

# استطلاع: الحكومة الأردنية تخسر رصيدا من التأييد الذي حظيت به عند انتخابها

عمان ـ «القدس العربي»:

أظهرت نتائج استطلاع للرأي العام في الأردن تراجعا ملحوظا في تقويم حكومة الدكتور معروف البخيت بعد مرور مائة يوم على استلام مهامها، مقارنة بتوقعات نجاحها في 19 قضية عند تشكيلها.

وبين الاستطلاع الذي أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية على عينتين وطنية وأخرى شملت قادة رأي أن قضايا الفقر والبطالة وارتفاع الأسعار ما تزال تتصدر أولويات الأردنيين التي رأت الغالبية في ضرورة البدء بمعالجتها فورا، مع تسجيل اختلاف واضح بين رأي العينتين في تقييم الحكومات المتعاقبة منذ عام 1996، حيث بقي مستقرا لقادة الرأي بينما سجل انحدارا ملحوظا للعينة الوطنية.

وفي القضايا التفصيلية، أفاد ممثلو العينة الوطنية بأن الحكومة كانت ناجحة في معالجة 12 موضوعاً من أصل 19 كُلفت بها. أما قادة الرأي؛ فأفادوا ان الحكومة كانت ناجحة في معالجة 9 موضوعات من اصل 19 .

وبالمجمل أبدت العينة الوطنية تناغماً بين مستويات التقييم العام والتفصيلي للحكومة حيث كان الانخفاض في تقييم الأداء بعد مرور مائة يوم مقارنة بالتشكيل يتبع الاتجاه نفسه على مستويي التقييم، على عكس عينة قادة الرأي التي لم تظهر تغيراً جوهرياً في التقييم العام، إلا أنها أظهرت انخفاضاً في تقييم الأداء الحكومي التفصيلي مقارنة بالتوقعات عند التشكيل. وهذا يعني أن قادة الرأي ما زالوا يعتقدون بأن لدى الحكومة فرصة للإنجاز. بينما يبدو أن ثقة أفراد العينة الوطنية في الحكومة بصفة عامة مرتبطة بإنجازها في القضايا التفصيلية.

وفيما يخص عينة قادة الرأي فقد توقع 74 % من قادة الرأي عند تشكيل الحكومة أن ينجح الرئيس في تحمل مسؤوليات المرحلة القادمة، وأفاد 74 % من قادة الرأي أن الرئيس كان قادراً على تحمل مسؤوليات المرحلة منذ التشكيل وحتى مرور مائة يوم على التشكيل. بينما توقع 68 % من قادة الرأي ان تنجح الحكومة في تحمل مسؤوليات المرحلة عند التشكيل، وأفاد 68 % من قادة الرأي ان الحكومة كانت قادرة على تحمل مسؤوليات المرحلة منذ التشكيل وحتى مرور مائة يوم على التشكيل. أما فيما يتعلق بالفريق الوزاري (باستثناء الرئيس) فقد توقع 62 % من قادة الرأي عند التشكيل ان ينجح الفريق الوزاري في تحمل مسؤوليات المرحلة القادمة، وأفاد 58 % ان الفريق الوزاري كان قادراً على تحمل مسؤوليات المرحلة المقبلة حتى مرور مائة يوم على التشكيل.

وفي نتائج العينة الوطنية تبين ان 72 % قد توقعوا أن ينجح الرئيس في القيام بمهام منصبه عند تشكيل الحكومة، وبعد مائة يوم قال 59 % أن الرئيس كان قادرا على القيام بمهام منصبه، بينما قال 56 % ان الحكومة كانت قادرة على تحمل مسؤوليات المرحلة منذ التشكيل وحتى مرور مائة يوم على هذا التشكيل. أما فيما يتعلق بالفريق الوزاري (باستثناء الرئيس) فقد توقع 66 % من العينة الوطنية أن ينجح الفريق الوزاري في تحمل مسؤوليات المرحلة القادمة، وأفاد 51 % أن الفريق الوزاري كان قادراً على تحمل مسؤوليات المرحلة بعد مرور مائة يوم على التشكيل.

وانخفضت نسبة من يعتقدون من العينة الوطنية التي شملت 984، بان الحكومة كانت قادرة على تحمل مسؤوليات المرحلة إلى 18 % بعد مرور مائة يوم على عملها مقارنة بـ 29.7 % عند تشكيلها وبقي تقويم عينة قادة الرأي، التي شملت 641 مستجيبا لأداء الحكومة ثابتا نسبيا.

ويقارن الاستطلاع بين تقويم العينتين الوطنية وقادة الرأي لأداء الحكومة بعد مرور مائة يوم على تشكيلها، مع التوقعات بنجاحها في 19 قضية سياسية واقتصادية واجتماعية كلفت بها عند تشكيلها. وفيما يشبه توجه العينة الوطنية نحو هذه الحكومة فيما يتعلق بتقييم أدائها بعد مرور مائة يوم على التشكيل ما حصل مع جميع الحكومات السابقة باستثناء حكومة الدكتور فايز الطراونة.

### أول حالة وفاة بأنفلونزا الطيور.. وهجمات عنيفة من نادي القضاة ضد النظام ورفض مثول المستشارين للتحقيق.. واتهام غزالي بالتأمرك

# أسباب الانقلاب الحاد ضد جمال داخل الحزب الحاكم.. وتراشق بين الصحافيين حول ديمقراطية وظلامية حكم مبارك

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت الأخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة يومي السبت والأحد عن اجتماع الجمعية العمومية لنادي القضاة وإلقاء كلمات نارية ضد النظام والمجلس الأعلى للقضاء ووقوف القضاة مرتدين الأوشحة احتجاجا، وإعلانهم رفض مثول زملائهم الستة للتحقيق واجتماع الجمعية العمومية لنقابة الصحافيين والتنديد بعدم تنفيذ وعد الرئيس مبارك إلغاء الحبس في قضايا النشر والمطالبة بوضع جدول جديد للأجور ولوحظ الإشادة بالتصرف الذكي للأمن حيث لم يكن هناك تواجد أمني بارز، كما كان يحدث في المرات السابقة وإرسال النائب العام لوزير العدل طلبا برفع الحصانة عن عضوي مجلس الشورى ممدوح إسماعيل صاحب عبارة الموت الموجود الآن في الخارج وعن زميلنا وصديقنا إبراهيم نافع رئيس تحرير «الأهرام» السابق لسؤاله في بعض القضايا الخاصة بمؤسسة «الأهرام» وقد تأجل النظر في طلب رفع الحصانة عنه إلى يوم الأربعاء ووفاة أول سيدة في محافظة القليوبية بأنفلونزا الطيور لرفضها ذبح الطيور التي كانت تربيها في منزلها وهوما أثار موجة جديدة من الذعر وإعدام عشرات الآلاف من الدجاج واجتماع المجلس الأعلى للسياسات للحزب الوطني برئاسة جمال مبارك لمناقشة التعديلات الدستورية والتشريعية لعدد من القوانين بحضور رئيس الوزراء الدكتور احمد نظيف وصفوت الشريف الأمين العام للحزب وانخفاض منسوب المياه في بحيرة ناصر خلف السد العالي ثلاثة سنتيمترات ونفي وزير المالية الدكتور يوسف بطرس غالي وجود أي نية لدى الدولة لإلغاء توريث المعاش للمستحقين ونشر مصطفى الطويل رئيس حزب الوفد المؤقت تحذيرا لأي تعامل بالبيع والشراء على مبنى الحزب واعتباره باطلا ردا على تصريحات الدكتور نعمان جمعة بأنه سيبيع المقر ومعرض القاهرة الصناعي والتجاري الدولي، وإلى فقرات التقرير.

## معركة القضاة

ونبدأ بمعركة القضاة والكلمات الملتهبة التي ألقيت في اجتماع الجمعية العمومية يوم الجمعة نقلا عن زميلنا طارق أمين بـ«المصري اليوم» ـ يوم السبت ـ إذ جاء في تغطيته للاجتماع: «قال المستشار محمود الخضيري رئيس نادي قضاة الإسكندرية في كلمته أمام الجمعية: يا سيادة رئيس الجمهورية.. أين الإصلاح الذي وعدتنا به؟ وإننا لا نرى حتى الآن أي تقدم وحتى أمل في الإصلاح بل نرى خطوات إلى الخلف تزيد الناس إحباطا والشعب اختلافا والنفوس توترا والمشاعر التهابا. وتساءل الخضيري: لصالح من يحدث هذا؟ ليس بالطبع لمصلحة الشعب ولا حتى لمصلحتك أنت الشخصية، فأنت المستفيد الأول من الإصلاح، لأنه يثبت دعائم حكمك ويعلي شأنك ويرفع ذكرك ويجعل الناس تلتف من حولك.

يا رئيس الجمهورية.. تأخير الإصلاح لا يمكن إلا أن يكون في مصلحة بطانة السوء التي تعلم أن أول ثمار الإصلاح الإطاحة بها والقضاء على احلامها ومصالحها، وكم أصابني الرعب والخوف على الوطن وأنا أرى خدام سوريا يوقع بسلطانها ومبعث خوفي على أنه إذا كان في سورية الحبيبة خدام واحد ففي مصر خدم على استعداد لبيع السلطان والوطن كله، لإنقاذ أنفسهم وثرواتهم.. ويصبحون مثل الكلاب المسعورة عندما تمس مصالحهم.

ووجه حديثه لأعضاء مجلس القضاء الأعلى وقال: اعلموا أن التاريخ الآن يسجل لكم أنكم العائق الأول أمام الإصلاح المنشود، خصوصا ان السلطة التنفيذية تتذرع بكم في تأخير إصدار القانون الذي يحقق هذا الأمل.. واعلموا شيوخنا أنكم بعدم مقاومة الفساد والمفسدين وعدم محاسبة المزورين ومحاولة إرهاب الناس، وتساءل: ماذا تريدون منا؟ هل تريدون منا ان نقول كما قلتم أنتم أنكم على استعداد للإشراف على الانتخابات بلا قيد أوشرط؟ فهل المطلوب أن نغض البصر خجلا وحياء عما حدث في هذه الانتخابات من جرائم ونقول عنها انها تجاوزات لا تنال من سلامتها؟ لا والله لن نقول لا الحق وما حدث فيها من جرائم لا يرتكبها سوى عتاة المجرمين وترقى إلى مرتبة الخيانة العظمى في حق هذا الشعب.

ووجه حديثه إلى المستشار فتحي خليفة وقال: هل تحسب يا شيخ القضاة أنك عندما سننت أسنانك وكشرت عن أنيابك وأسأت استعمال سلطاتك قد أخفتنا وجعلتنا نسكت عن قول الحق الذي اعتدنا قوله منذ نعومة أظافرنا أو أن نسكت عن محاسبة المزورين أونقعد عن المطالبة بالإصلاح والتغيير. ونحن نرى الوطن ينخر فيه السوس وتهاجمه الأمراض. وأضاف: عار عليك يا شيخ القضاة أن تدلي بحديث تسب فيه زملاءك وتقلل من شأنهم وتصفهم بالتناقض والسعي وراء المال، والمفروض أنك المدافع الأول عنهم.

واستطرد: أصارحكم الحقيقة.. إنني أشم رائحة مؤامرة تحاك للقضاء منذ أمد ليس بالقريب، الغرض منها تشويه صورتهم ومكانتهم وإلا فما معنى أن يقوم قاض بتزوير الانتخابات وتدينه محكمة النقض صراحة ثم يعار إلى إحدى البلاد العربية وآخر يسعد بالجلوس على مقعد مهم بالوزارة دون أن تستطيع يد أن تمتد إليه وثالث يرسل لإحدى البلاد الأوروبية لتستريح أعصابه المجهدة من عناء تزوير الانتخابات ورابع مسكين لم ينل سوى مكافأة الندب لإحدى الوزارات؟ ألا يعد ذلك مؤامرة على القضاء.

وقال: إن بداية الإصلاح هوالإصلاح القضائي وبدونه لا إصلاح ولا تغيير بل تخلف وفوضى وإرهاب وضياع للشعب والأمة.

من جانبه، اشار المستشار هشام البسطويسي نائب رئيس محكمة النقض إلى أن القرار الذي أصدره النائب العام بإلزام أعضاء النيابة بعدم مغادرة مقار عملهم إلا بإذن منه لمنعهم من حضور الجمعية العمومية الطارئة وكذلك إغلاق دار القضاء العالي لمنع الوقفة الاحتجاجية للقضاة، يعد إساءة لسمعة القضاء وسمعة مصر في الداخل والخارج.

وقال: إن هذا العمل سيدينه العالم كله باعتباره انتهاكا للحق الدستوري المقرر للقضاء في حرية التعبير والاجتماع بناديهم ومصادرة لما قررته المواثيق الدولية لخاصة باستقلال القضاء الموقعة من مصر والتي كان يتعين الالتزام بها».

والقضية الأخطر في رأيي هي قرار الجمعية العمومية رفض مثول القضاة الستة امام التحقيق، وبالتالي فقد انفتح الباب لعملية تصعيد في منتهى الخطورة بين النادي ومجلس القضاء الأعلى أما إلى أين ستنتهي الأوضاع، وهل سيرد مجلس القضاة بقبول التحدي وتصعيد المواجهة أم ستتم تسوية الخلاف ومنع المواجهة، فهذا ما ستجيب عنه الأيام القادمة.

## الرئيس مبارك

وإلى رئيسنا وبداية أسبوع جديد أوله يثير أعصابي المرهقة وكيف لا أثور بينما زميلنا جلال عامر يقول في بابه ـ من أفواه المواطنين ـ بجريدة «التجمع» عن رئيسنا في فقرتين لم أتقبلهما وهما: «سوف يوفر 4,5 مليون وظيفة للشباب وأولها وظيفة رئيس جمهورية لواحد معروف من هؤلاء الشباب.

اقترح صك عملة تذكارية على أحد وجهيها صورة مواطن يبكي وعلى الوجه الآخر صورة سيادته يبتسم».

كما تمادى الدكتور عبد الفتاح أحمد عبد الفتاح عضوالأمانة العامة لحزب التجمع في عموده ـ الفريضة الغائبة ـ وقال عن رئيسنا: «حصاد عام واحد من الفترة الخامسة: قطارات تحترق وعبارات تغرق وحوادث طرق وأنفلونزا الطيور، وهكذا ستختفي مصر بنهاية الفترة».

ثم تمادى أكثر واكثر الدكتور إبراهيم السايح أحد مستشاري تحرير الجريدة ليقول ـ بئس ما قال ـ في بابه ـ للكبار فقط: «في أكتوبر 1981 وقف السيد محمد حسني مبارك يقسم بالله العظيم على حماية مصر بشعبها وأرضها ونظامها ودستورها.. كان ذلك بمناسبة تعيين فخامته رئيسا للجمهورية خلفا للمرحوم محمد أنور السادات.. ومنذ ذلك الحين صار محمد حسني مبارك يكرر القسم المذكور كل ست سنوات ميلادية.. وطوال ربع قرن ميلادي لم يف الرئيس بنص اليمين الدستورية التي يؤديها أمام ممثلي الأمة قبل كل ولاية من ولايات فخامته.. فالنص الدستوري شيء والواقع شيء آخر يختلف تماما عن ذلك النص..

يقول الرئيس في اليمين الدستورية انه يتعهد بحماية مصر بشعبها وأرضها ونظامها الجمهوري.. والواقع الذي نعرفه ونعيشه يؤكد ان مصر هي التي تتولى حماية الرئيس وتفتديه بأموالها وشعبها وسلاحها ووسائل إعلامها وقوانينها ودستورها وحاضرها وماضيها..

هكذا صنعت مصر رئيسها الحالي.. لم يكن ثائرا كعبد الناصر ولم يتعاط السياسة كالسادات.. ولكنه رئيس مصنوع من الألف إلى الياء.. حصنوه ضد الخطأ والخطيئة ومنحوه لقب الحكيم الأوحد والصادق الأمين.. شدوا وثاق السبعين مليون مصري بترسانة من القوانين الاستثنائية والممارسات القمعية وحصار الأرزاق والأقدار قدموهم للرئيس فريسة مشلولة عاجزة عن الحركة أو الرفض أو القبول.. يقولون أن الرئيس هو أحكم خلق الله بينما البلاد ترسف في أغلال الفساد والإفساد والفقر والجهل والمرض.. يقولون لا بديل له بينما يستطيع أي مواطن أن يصبح رئيسا مثاليا للبلاد لومنحته مصر نصف الحماية الدستورية والقانونية والشخصية والإعلامية والأمنية الممنوحة للرئيس مبارك»!

ما هذا الذي أقرأه وأشيعه بين القراء رغم معرفتي أنه باطل، ومثله مثل قول زميلنا وصديقنا إبراهيم عيسى رئيس تحرير «صوت الأمة»: «منذ تولى مبارك وهوحريص على دفن أي رغبة في التغيير واشترى نظامه الذمم والضمائر لكثير من شيوخ السياسة الذين شاخوا وزعماء الأحزاب الذين باعوا احزابهم وضمائرهم وكثيرا من المثقفين الذين دخلوا الحظيرة ولم يتورع بعضهم عن المواء أوالخوار، لكن جيلا جديدا من التيار الوطني يولد ويناضل من اجل الحرية، وهاهم قضاة مصر الشرفاء والعظام يقودون مصر للتغيير ويرفعون راية استقلال القضاء وهي راية استقلال الوطن ليس القضاء فقط، وهاهم شباب مصر من أجل التغيير يزينون الميادين بالتظاهر والمظاهرات من اجل زوال استبداد حكم مبارك وغم حزبه وأمانة ابنه التي يحكم حيتانها الوطن بأرذل الوسائل وأكثر الأساليب فاشية وقمعا، وها هي جماعة الإخوان المسلمين تتشارك مع القوى السياسية النبيلة في الكفاح المشترك بلا حساسيات ولا مماحكات بين الطرفين بل هما ضد خصم سياسي يقود البلد إلى جحيم الفشل والفاشية والطغيان والفساد وإغراق الفقراء وإفقار المستورين ،وها هي مصر تنشد ليقظة شبابها وناسها بتحية أحمد فؤاد نجم الشهيرة صباح الخير على الورد المفتح في جنابن مصر! هذا النضال من اجل الحرية لا يهمه موقف أمريكا بل يهمه ضباط أمن الدولة وضباط الصحافة الحكومية ومخبري الأحزاب الذين عششوا في مقاعد المسئولية عن تلك الأحزاب وحولوها خرابات، فالضغط الذي يمارسه نظام مبارك بالفساد والفشل والفقر والتلوث والبطالة والانحياز الأعمى والمهووس لصالح الأغنياء ضد الفقراء وبإحساس جمال مبارك أنه ولي عهد وفشل نظيف السياسي وتصرفات بطرس غالي وبيع محمود محي الدين وبسياسة رجال الأعمال الذين يتولون الدولة وبغطرسة وحماقة الأمن وكراهيته للمثقفين ومقته للحرية وغشمه الرهيب في مواجهة المعارضين وبإعلام منافق ينفجر مواسة ومداهنة وتقديس للرئيس وبصحف حكومية لا تملك إلا مسح بلاط قصر الحاكم ، بكل هذا نضمن أن مصر ستتغير وليس بأوامر من أسيادهم في واشنطن»!

أما زميلنا وصديقنا محمد حماد نائب رئيس تحرير «العربي» فقد زادني غما وهما بقوله وبئس ما قال هو وعيسى: «من حقك أن تفقد الأمل في مصر التي تحلم بها خاصة إذا كان على رأسها هذا النظام وهذا الرئيس، ولكن الذي لا حق لك فيه «منذ اليوم» أن تفقد الأمل في يوم قريب يبدو على الأبواب تجلت بشائره في شارع عبد الخالق ثروت يوم الجمعة الماضي. من حقك أن تخاف على مستقبل البلد، بل وأن يصيبك الذعر من مجرد استمرار هذا النظام وهذا الرئيس بكل هذا العناد مع حقائق التاريخ يغادرك الأمل في مصر القادمة إذا أنت طالعت وجوه قضاة مصر الذين اجتمعت قلوبهم على قلب رجل واحد للمرة الرابعة في أقل من عامين للمطالبة باستقلال القضاء والحفاظ على شرف مصر أن يدنسه الفاسدون والباحثون عن طول البقاء على المقاعد التي تيبست بهم إذا امتلأت غضبا من استمرار حالة الطوارئ طيلة حكم مبارك وإذا أحزنك طول بقاء الألوف من شباب مصر خلف القضبان طيلة هذه السنين فأبشرك بيوم قريب تنزاح فيه الغمة وتنفرج الأزمة وتسقط حالة الطوارئ ويسقط قبلها حكم الطوارئ والحاكم الطارئ!

إذا كنت من ملايين العاطلين عن العمل بسبب سياسات الرئيس وحزبه وحكومته أبشرك بأن يوم الخلاص لاحت في الأفق القريب علاماته، لأنه لا يمكن لنظام عمي بصره وفقد بصيرته ويصطدم مع القضاة ويدفعهم كل يوم إلى مواجهة شاملة يبدو أن يومها يقترب، كأنه يحكم على نفسه بالرحيل غير مأسوف عليه.

لا تصدق أن حاكما يخاصم صحافة بلاده، ويعادي قضاة الوطن، ويضع الجميع في خانة الخارجين على نظامه يمكن له أن يستمر بعد أن انطلقت صفارة العد التنازلي لبقائه في الحكم».

لا.. لا.. ما هذه الخزعبلات التي كشفها لنا مشكورا مأجورا زميلنا عبد الله كمال رئيس تحرير مجلة «روز اليوسف» بقوله: «مع قدوم الرئيس مبارك إلى الحكم، حدثت حالة فريدة للغاية في علاقة الدولة بالنخبة، إذ مدت الدولة كل جسور التواصل مع النخبة من كل التيارات.. في درجة أنه يمكن القول أنه لا يوجد مثقف من أي نوع، جامعي، صحافي، سياسي، اقتصادي، لم تكن لديه قنوات تواصل مع الدولة أو أحد رموزها ومؤسساتها المتنوعة. وربما كان هدف التواصل هو بناء جسور التفاهم المفترضة بين الدولة والنخبة، لكن قطاعات من هذه النخبة ظلت على تصورها القديم من أن العلاقة مع الدولة هي في نهاية الأمر «نفعية» ولابد أن تؤدي إلى تحقيق فائدة من نوع ما للمثقف.. وفي كل الأحوال، فإن هذه القطاعات من النخبة هي التي يعود إليها ترويج مقولة «ضعف النظام».. وسوف ننتظر منها مزيدا من الصخب.. ليس من اجل المبررات الأربعة السابقة.. ولكن لأنها الآن تشعر بخطر انقلاب الأجندات الغربية والأمريكية على نفسها.. واحتمال أن تتراجع عن كل أفكار ومشروعات التحول التي كانت تقودها من الخارج في اتجاه الداخل.. وفي ذلك السياق ليس عجيبا على الإطلاق أن ترى أن كل المتحولين الذين يهاجمون نظام الحكم في مصر، يهاجمون الآن ـ مثلا الولايات المتحدة، بأن يقولوا أنها انقلبت على مبادئها، وأنها لا تمارس ضغوطا كافية على الأنظمة وهاهم الآن أمام حقيقة مرة مؤداها أنهم أصبحوا «ورقا محروقا».. بلا قيمة.. أوتأثير شعبي.. يتركون الآن في العراء.. لا هم صاروا وزراء.. أوحتى مستشارين.. أو حتى يضمنوا بقاء علاقتهم الوطيدة مع مشروعات التدخل الخارجي.

2 ـ تحاول قوى غير ديمقراطية وفوضوية أن تستغل هذا المناخ، وأن تحول نيل مكاسب ما ومن أي نوع، وبما قد يؤذي التحول الديمقراطي.. ولا شك أن أي خروج عن النظام والقانون ينبغي أن يقابل بسيطرة رادعة. حتى لوتأخرت، لا سيما إن أدت إلى الإضرار بالمجتمع.

3 ـ هذه الحيوية الحادثة في المجتمع يجب أن تفرض على المعارضة استثمار الفرصة وباعتبارها من لبنات النظام، وهوما يفرض عليها أن تنوع في أساليبها وأن تطور في أدواتها، وصولا إلى الهدف الجمعي من التحول الديمقراطي. إن النظام في أقوى حالاته، وهولا يلعب في الوقت الضائع، لأنه لا يشارك في مباراة من الأصل، فهو منظم المباريات وحكم التفاعلات وقانونه هوأساس الحراك الاجتماعي».

طبعا.. طبعا.. هكذا رئيسنا على الدوام ولذلك قال عن نظامه أمس في «الأخبار» زميلنا شريف رياض: «شهد شارع عبد الخالق ثروت أول أمس أحداثا مهمة في تاريخ الممارسة الديمقراطية في مصر، تؤكد أن الحراك في الشارع السياسي الذي بدأ مع مبادرة الرئيس مبارك بتعديل الدستور في العام الماضي لم ولن يهدأ.. ولأن الممارسة الديمقراطية تزداد قوة يوما بعد يوم، كلما كان متاحا أن يعبر الجميع عن آرائهم ويعلنون تمسكهم بحقوقهم والتزامهم بالحوار السلمي طريقا وحيدا لتحقيق مطالبهم، اللافت للنظر وسط هذه الأحداث هواختفاء قوات الأمن، مما انعكس على انضباط سلوك المتظاهرين وهذا أيضا مظهر حضاري نؤيده ونشجعه. المهم أن تثمر هذه الممارسة عن نتائج تضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار».

طبعا، وهل في ذلك أدنى شك؟

## معارك وردود

وإلى المعارك والردود ومعاودة زميلنا بـ«الأهرام» طارق حسن هجومه العنيف ضد زميلنا وصديقنا الدكتور أسامة الغزالي حرب، فبعد أن هاجمه في جريدة «روز اليوسف» قال عنه في «أهرام» السبت: «في معرض تبريراته المتناقضة لاستقالته من الحزب الوطني، قال الدكتور أسامة الغزالي حرب: إنه شعر بطعنة وأنه تم التعامل معه بانتقام عندما صدرت التغييرات الصحافية في يوليو الماضي ولم يجد نفسه رئيسا لتحرير «الأهرام»!!

ويفهم من هذا الكلام أن حرب سعى للالتحاق بالوطني طمعا في نيل رئاسة تحرير «الأهرام»، فلما خاب سعيه خرج على الوطني بالاستقالة! ومثلي من الصحافيين، لا يجد سببا واحدا يجعل من حرب رئيسا لتحرير «الأهرام»، ولا أي صحيفة أخرى، لأنه ببساطة اكاديمي، وليس صحافيا. لكن مشكلة حرب أنه عينة من نموذج دخل الصحافة من باب الوظيفة وليس من باب المهنة.. وكذلك دخل الأحزاب وعالم السياسة أيضا، فأضر ولم ينفع.. لكنه لا يكف عن اللغو وإثارة اللغط، وتوظيف مفاهيم الإصلاح والديمقراطية والليبرالية كأداة ابتزاز لنيل الوظائف والمناصب العامة كبيرها وصغيرها.. وقد «كوش» على الكثير والكثير منها بنهم ودون شبع.. ودون أن يتوقف لحظة واحدة ليسأل نفسه، قبل أن يسمع منا: بأية مناسبة؟ وبأي حق كل هذا «التكويش»؟ الحق أنه لا يكفي لأصحاب مثل هذا النموذج الاستقالة من الحزب الوطني فقط، بل من الحياة السياسية برمتها، فهذا هوالإصلاح بعينه وليس أن يبشرنا أمثال حرب بح